

الكتابة اللسانية التمهيدية عند محمود السعران مقارنة نقدية في الموضوع

والمنهج والمصطلح

Introductory linguistic writing by Mahmoud Al-Saaran

Acritical approach to the topic, method and term

د. رشيد سلطاني rachid.soltani@univ-tebessa.dz

جامعة العربي التبسي - تبسة (الجزائر)

د. عبد الخالق بوراس abdelkhalek.bouras@univ-tebessa.dz

جامعة العربي التبسي - تبسة (الجزائر)

تاريخ النشر: 2021/01/01

تاريخ القبول: 2020/12/05

تاريخ الاستلام: 2020/11/28

ملخص:

تهدف هذه المقالة إلى تسليط الضوء على واحدة من الكتابات اللسانية التمهيدية في العالم العربي، التي استقبلت الدرس اللساني الغربي الحديث، متمثلة في تجربة الباحث المصري محمود السعران من خلال كتابه الموسوم بـ "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"، وذلك للبحث في مدى تحقق أهداف تأليف هذا الكتاب التعليمي، من حيث الإحاطة بمجالات اللسانيات العامة، وكذا منهج التأليف، ومدى نجاح صاحبه في الترجمة الأمينة للمصطلح اللساني.

واعتمادا على المنهج الوصفي التحليلي خلصت الدراسة إلى أن كتابة محمود السعران في بدايات تأليفه في مجال اللسانيات كانت كتابة تعليمية تهدف إلى توضيح هذا العلم الجديد الوافد من الغرب إلى حقل الثقافة العربية، مستهدفا طلاب الجامعات العربية وأساتذتها الذين وجدوا صعوبات جمة في فهم هذا العلم في مظهره. وقد أفلح صاحبه في تحقيق هدفه التعليمي من خلال تبسيط موضوعات هذا العلم بمنهج واضح واجتهاد في نقل المصطلح اللساني إلى اللغة العربية عن طريق التعريب حيناً، والترجمة الابتكارية حيناً آخر، دون اللجوء إلى الترجمة التأصيلية، كي لا يلتبس هذا الدرس اللساني الجديد مع المعطيات اللغوية التراثية.

كلمات مفتاحية: كتابة، لسانيات، تمهيدية، محمود السعران، منهج، مصطلح.

Abstract:

This article aims to shed light on one of the introductory linguistic writings in the Arab world, which received the modern Western linguistic lesson, exemplified by the experience of the Egyptian researcher Mahmoud Al- Saaran, through his book tagged: "Linguistics is an introduction to the Arab reader", This is to research the extent to which the objectives of writing this educational book have been achieved, in terms of understanding the fields of general linguistics, as well as the authoring method, and the extent of its author's success in the faithful translation of the linguistic term.

Dipending on the descriptive and analatical approach, the study concluded that Mahmoud Al- Saaran writing in the field of linguistics was an educational writing aimed at clarifying this new science coming from the West to the field of Arab culture, targeting Arab university students and their professors who found great difficulties in understanding this science its context. Its author has succeeded in achieving his educational goal by simplifying the topics into the Arabic language through Arabization at one time and innovative translation at another time, without resorting to rooting translation so that this new lesson is not confused with the linguistic heritage data.

Keywords: Writing, Linguistics, Introductory, Mahmoud Al- Saaran, Method, term.

1. مقدمة:

من المسلّم به أن الدراسات العلمية، بمختلف حقولها وأشكالها وتخصصاتها، تتأسس على أركان ثلاثة، هي: تحديد الموضوع أو حقل الدراسة، ومنهج الدراسة، ونتائج الدراسة. ولعل العلوم الإنسانية لم تخرج بدورها عن هذه النافلة، كما هو الشأن بالنسبة لعلم اللغة أو ما يسمى عندنا باللسانيات.

ومن المعلوم لدينا أن اللسانيات الحديثة - باعتبارها حقلا معرفيا إنسانيا- قد انبجست ونمت وترعرعت في حقل الثقافة الغربية، منذ ظهور كتاب فردينان دو سوسير¹

"Cours de linguistique générale"²، وسرعان ما تلقفها الباحثون الغربيون المهتمون بالحقل اللغوي، تعريفاً وترويجاً وتطويراً، أما عند العرب فقد تم استقبال هذا الحقل العلمي في وقت متأخر نسبياً؛ أي في ستينات القرن العشرين، عن طريق ترجمة هذا الكتاب الرائد في مجاله، وغيره من المصنفات التي ظهرت بعده عند مختلف المدارس اللسانية الحديثة. ثم تلتها بعد ذلك محاولات من بعض اللغويين العرب المجتهدين في مجالهم للتعريف بهذا العلم في تصوره الجديد كما حدده سوسير، وأعلام المدارس اللسانية؛ كالوظيفية الفرنسية، والغلوسيماتيكية، والسلوكية، والسياقية، والنحو التوليدي التحويلي، والتلفظية، والتداولية، ولسانيات النص، ولسانيات الخطاب... إلخ

وقد أطلق بعض الباحثين على هذا النوع من التأليف مصطلح الدراسات اللسانية العربية التمهيدية، نظراً لريادتها من جهة في مجال التأليف اللساني العربي، ولأنها من جهة أخرى حملت على عاتقها مهمة الترويج والتعريف بهذا الحقل المعرفي المستجد، موضوعاً ومنهجاً ومصطلحاً. والسؤال المطروح في هذا السياق ما معنى الدراسات اللسانية العربية التمهيدية؟ وما هي وظيفتها وأهدافها؟ وإلى أي مدى أسهم الباحث المصري محمود السعران في توطيد أركان هذا النوع من الدراسات من خلال كتابه: "علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي"، وهل أحاط بأهم مباحث اللسانيات العامة؟ وما هو المنهج المتبع في دراسته؟ وهل وُفِّقَ في نقل المصطلح اللساني إلى حقل الثقافة العربية؟ وبالتالي هل نجح: في تحقيق أهدافه التعليمية من وراء تأليفه لهذا الكتاب؟

2. المباحث اللسانية في كتاب: "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي":

"علم اللغة مقدمة للقارئ العربي"³ عنوان كتاب للباحث المصري محمود السعران، مطبوع بدار النهضة للطباعة والنشر، الكائن مقرها ببيروت، دولة لبنان. تحوي

دفتا هذا الكتاب 462 صفحة من القطع المتوسط، بما فيها صفحات الغلاف الداخلي وفهرس المحتويات.

يمتد فهرس المحتويات من الصفحة 439 إلى الصفحة 462. أي على امتداد 23 صفحة كاملة، وهذا مؤشراً هاماً على منهج تأليف الكتاب كما سيأتي الحديث عنه في المبحث الموالي، مبتدأه تمهيد صاغ له صاحبه العنوان الآتي: نحن وعلم اللغة، ثم أعقبه بخمسة أبواب.

1.2 التمهيد:

طرق الباحث في تمهيد كتابه المذكور آنفاً ثلاثة مباحث: المبحث الأول خصصه للبحث في إشكالية الدراسة اللغوية من حيث علميتها أو عدم علميتها. وقد انحاز الباحث إلى صف القائلين بعلمية الدرس اللغوي الحديث "مع ما بين اللغويين المحدثين من اختلاف"⁴ نظراً لتوفر أركان، وهي: الموضوع والمنهج والوسائل والنتائج الموضوعية،⁵ منتقدا استمرار بعض المفاهيم القديمة القاصرة القائلة بأن هدف الدراسة اللغوية هو تمييز صحيح الكلام من خطئه، ومعرفة عدد كبير من اللغات،⁶ متبنياً الرؤية الجديدة لعلم اللغة القائلة بأن وظيفته تكمن في وصف اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها،⁷ ضاماً صوته إلى من ينادون بضرورة تبسيط هذا العلم حتى ينال إقبال القراء سواء في المواطن الأصلية لميلاد هذا العلم؛ كأوروبا وأمريكا وروسيا، أو في مواطن الاستقبال؛ كالوطن العربي مثلاً.⁸

أما في المبحث الثاني فقد حاول توصيف حال علم اللغة في الشرق العربي، قائلاً: "إن هذه الدراسة في البلاد الناطقة بالعربية لا تزال غريبة على جمهور المتخصصين في المسائل اللغوية، المنقطعين لها، المنصرفين إليها، فهم قد يفهمون من دراسة اللغة دراسة النحو والصرف أو الاشتقاق ومعرفة الشوارد النادرة، وحوشي الكلام، وتمييز الفصيح من

غير الفصيح ومعرفة معاني الكلمات وتمييز الدخيل من الأصل، أو الاشتغال بتأليف المعجمات أو غير ذلك مما لا تدعو حاجة إلى استقصائه"⁹، وهذا مناف لحقيقة هذا العلم في موطنه التي نشأ فيها، إذ إن المقصود بعلم اللغة عند أصحابه: "هو علم يرشدنا إلى مناهج سليمة لدرس أي ظاهرة لغوية، وهو يهدينا إلى مجموعة من المبادئ والأصول متكاملة مترابطة عن اللغة وحقيقتها ينبغي أن تكون في ذهن الباحث اللغوي على الدوام أيا كان موضوع بحثه"¹⁰. مستغنيا من رد الفعل السلبي من جمهور الباحثين العرب المشتغلين بالدراسات اللغوية، فأغلبهم كما يقول محمود السعران "يرفض النظر في هذا العلم الجديد، أو لا يحاول تفهمه، أو يعجب أن ما في يده من علم قد يحل محله علم حادث وافد من البلاد الغربية، وخيرهم ظنا بهذه الدراسة الجديدة وبالقلة القائمة بها من أبناء العربية يعد علم اللغة أو بعض فروعه كعلم الأصوات اللغوية ترفا علميا لم يؤن الأوان بعد للانغماس فيه أو التطلع إليه"¹¹.

ومع ذلك يسجل الباحث ويثمن بعض الجهود التي سبقته للتعريف بهذا العلم الجديد الوافد، فهي لا تزال تخطو على وهن، ترمي إلى وصل دارسي العربية بالدراسات اللغوية الحديثة، وعلى رأس هذه الجهود ما قدمه جورج زيدان ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكذلك جهود بعض الأكاديميين من المستشرقين الذين قاموا بالتدريس في كلية الآداب بجامعة القاهرة.¹²

وفي الختام توصل محمود السعران إلى نتيجة ختم بها مباحث هذا المدخل الضروري لمثل هذا النوع من الكتابات التمهيدية، وهي أنه إذا كانت هناك صعوبات في بلاد نشأة هذا العلم، فإن ما يقال عن حاله في البلاد العربية أجدر بشكوانا أن تكون الغربية عن هذا العلم برمته، لذلك علينا أن نكتب في هذا العلم بالعربية؛ لأنه لن يكون لنا علم لغة إذا ما اقتصر المتخصصون على دراسته في أصوله الأجنبية، مع ما في تمثيل

ما كُتِبَ في هذا العلم بلغات الغرب ليس أمراً هيئاً، نتيجة تحديات من أهمها صعوبة ترجمة المصطلح، وكذا رواسب الدراسات اللغوية القديمة التي ترسخت في الأذهان، على شكل مسلمات؛ كعدم التمييز بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية للغة، والتمييز التراتبي بين الفصحى والعامية وهي أمور يرفضها علم اللغة الحديث، إضافة إلى عدم التمييز بين النحو واللغة.¹³

2.2 الباب الأول:

بالانتقال إلى الباب الأول من هذا الكتاب، فإننا نجد صاحب الكتاب قد خصصه للتعريف بعلم اللغة وموضوعه وماهيته. فبالنسبة لتعريف علم اللغة فإن الباحث محمود السعران يعتمد في تحديده على ما ذهب إليه فردينان دو سوسير، حينما نعت هذا العلم من خلال تحديد مدونته وغايته، قائلاً: "موضوع علم اللغة الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها".¹⁴ وقد أردف الباحث بهذا المفهوم تعليقا توضيحيا لمصطلح اللغة في هذا التعريف، قائلاً: "واللغة التي يدرسها علم اللغة ليست الفرنسية أو الانجليزية أو العربية، ليست لغة معينة من اللغات، إنما هي اللغة التي تظهر وتتحقق في أشكال لغات كثيرة ولهجات متعددة، وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني. فمع أن اللغة العربية تختلف عن الإنجليزية، وهذه الأخيرة تفتقر عن الفرنسية إلا أن ثمة أصولاً وخصائص جوهرية تجمع ما بين هذه اللغات، وتجمع ما بينها وما بين سائر اللغات وصور الكلام الإنساني، وهو أن كلا منها لغة؛ أن كلا منها نظام اجتماعي معين تتكلمه جماعة معينة بعد أن تتلقاه عن المجتمع، وتتحقق به وظائف خاصة، ويتلقاه الجيل الجديد عن الجيل السابق، ويمر هذا النظام بأطوار معينة متأثراً بسائر النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية وبسوى ذلك... إلخ وهكذا فعلم اللغة يستقي مادته من

النظر في اللغات على اختلافها، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق والخصائص التي تسلك اللغات جميعا في عقد واحد".¹⁵

ومن الجدير بالذكر أن هذا المفهوم الجديد لهذا العلم لا يعني نكران جهود السابقين من العلماء الذين بذلوا جهدا لا يُنكر لدراسة اللغات، إنما الأمر متعلق برؤية جديدة موضوعية تراجع جهود السابقين وتتجاوزها في الوقت نفسه،¹⁶ بما يحقق شرط الموضوعية في دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها دون تمييز بين لغة ولهجة، أو بين لغة ولغة، ودون تحقيق طموحات ذاتية أو أغراض دينية أو قومية.¹⁷

وقبل الانتقال إلى إبراز علاقة علم اللغة بالسميولوجيا، حاول محمود السعران أن يتطرق إلى مباحث، هي في الحقيقة من المباحث التي ضرب عنها علم اللغة صفحا نظرا للاحداى البحث فيها؛ كمبحث نشأة اللغة على الرغم من إشارة محمود السعران إلى ذلك، نظرا لطغيان التفسيرات اللاهوتية والميتافيزيقية.¹⁸ والأمر نفسه الذي قلناه عن مبحث نشأة اللغة يمكننا أن نقوله عن طبيعة اللغة من خلال ما أورده الباحث من تفسيرات لهذه الطبيعة بالاستناد إلى إدوارد سابير.¹⁹

أما عن علاقة علم اللغة بالسميولوجيا فهو في الحقيقة من المباحث الهامة التي وضع لها فردينان دو سوسير بعض المنطلقات في كتابه: محاضرات في اللسانيات العامة، وبالتالي فهو من المباحث الجوهرية التي لا يمكن لعالم اللغة الاستغناء عنها، لأن علم اللغة ما هو إلا فرع من هذا العلم الذي بدأت ملامحه تظهر للعيان، يقول سوسير مبينا أهمية هذا العلم الذي لم يكتمل بعد: "إننا إذا كنا قد استطعنا، للمرة الأولى، أن نحدد لعلم اللغة مكانا بين العلوم، فما ذلك إلا لأننا وصلناه بالسميولوجيا".²⁰ وذلك لأن موضوع علم اللغة ما هو إلا نظام سميولوجي تواصل على غرار نظام الأزياء ولغة الصم البكم ، والإشارات العسكرية ونظام المرور وغيرها. وقد أشار محمود السعران إشارة طيبة إلى

جهود العلماء بعد سوسير في إرساء معالم وأركان هذا العلم بمفاهيمه وجهازه الاصطلاحي، وهو ما من شأنه تذليل بعض الصعوبات التي تواجه تلقي علم اللغة على الوجه المأمول.²¹

وفي هذا الصدد، لم يغفل الباحث محمود السعران علاقة علم اللغة بالعلوم المتاخمة كعلم الاجتماع من منطلق أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، لذلك من المنطقي استعانة عالم اللغة بفتوحات هذا العلم الذي توطدت أركانه قبل علم اللغة. والأمر نفسه ينسحب على استفادة علم اللغة من معطيات علم الإناسة (الأنثروبولوجيا)، وعلم الوراثة، وعلم الحياة العام، وكذلك علم أمراض الكلام وعلم النفس، والتاريخ والجغرافيا²² وغيرها من العلوم التي تدخل اللغة ضمن اهتماماتها.

ومن المسائل التي يجب ذكرها بصدد الحديث عن علم اللغة الحديث هي مسألة المنهج لأنها من الضرورات التي لا يستقيم أي علم من دونها، فالمنهج هو الضامن لاشتغال الفكر اشتغالا صحيحا منظما ومنتجا للمعرفة، حيث ورد في موسوعة لالاند الفلسفية أن المنهج: هو مجهود لبلوغ غاية، وطريق نصل من خلالها وبها إلى نتيجة معينة.²³ أو هو "الطريق الواضح، والسلوك البيّن، والسبيل المستقيم"،²⁴ كما جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا.

وقد وضع الباحث محمود السعران مسألة المنهج في علم اللغة الحديث حينما عقد مقارنة بين دراسة لغة ما في مرحلة معينة من مراحل تطورها؛ أي حال استقرارها وثباتها، وبين دراستها من الناحية التاريخية، ومن الواضح استيعابه لهذا المعطى المنهجي

من خلال اطلاعه على محاضرات سوسير؛ التي تميز بين الدراسة التزامنية السانكرونية والدراسة التعااقبية الدياكرونية.

3.2 الباب الثاني:

في هذا الباب من الكتاب اشتغل الباحث على المستوى الصوتي من اللغة، معنونا إياه بعلم الأصوات اللغوية،²⁵ حيث وضع له مدخلا، عبارة عن لمحة تاريخية؛ حفر من خلالها في أعماق هذا الدرس؛ عند اليونان والرومان والهنود والعرب.²⁶ ثم تطرق إلى جهود الغربيين منذ القرن السابع عشر، وصولا إلى صورته في علم اللغة الحديث.²⁷

ينهض علم الأصوات اللغوية- باعتباره فرعاً من فروع علم اللغة الحديث- كما أوضحه الباحث على مجموعة من المباحث الهامة؛ كتحديد موضوع هذا العلم ألا وهو "الصوت الإنساني الحي"، من خلال تحديد جهاز النطق وأجزائه، ودراسة هذا الصوت مخرجا وصفة، دون إغفال العلوم والوسائل التي يتوسلها الباحث في هذا العلم لتحقيق أهدافه الموضوعية، مركزا على الآلات التي تذلل الصعوبات؛ كمجهر الحنجرة، وآلة تسوند بيرجيت لإثبات الجهر، وآلة شبندلر وهوير لتوضيح بعض خواص الأصوات الصائتة، والبلاتوجرافيا أو طريقة الأحناك الصناعية، والكيموجراف، والأوسيلوجراف، والتصوير بأشعة إكس، وآلات تسجيل الأصوات، وأسطوانات الدراسات الصوتية، ونماذج وخرائط أعضاء النطق.²⁸

كما تطرق الباحث محمود السعران في هذا الباب من كتابه إلى ما يصطلح عليه بالكتابة الصوتية، وذلك لحاجة علم الأصوات اللغوية إلى أبجدية صوتية تخصص حرفا واحدا لكل فونيم، ومن ثم محاولة وضع نظام من الرموز الكتابية الدقيقة؛ كالكلام

المنظور لبل، والخط الألف بائي ليسبرسن، وألف باء لبسيوس، وبريمر، والجمعية الأنثروبولوجية الأمريكية، والجمعية الصوتية الدولية.²⁹

ثم حاول في الأخير حصر أسباب حاجتنا إلى علم الأصوات اللغوية، التي حددها فيما

يلي:³⁰

- لأنه حجر الأساس في أي دراسة لغوية
 - دراسة أية لغة مبنية على الوصف الصوتي
 - الدراسة الصوتية جزء أصيل من دراسة المعنى
 - الدراسة الصوتية أساسية للدراسة اللغوية التاريخية، والدراسة اللغوية المقارنة
 - يساعد على وضع الأبجديات وإصلاحها
 - يساعد في التأليف المعجمي
 - يساعد على إجادة نطق اللغة الأم وتعلم نطق اللغات الأجنبية.
- هذا ولم يغفل محمود السعران الحديث عن علم الأصوات الوظيفي؛ حيث تطرق إلى مفهوم الفونيم وتعدد نظرياته، مقدما أمثلة عربية عن الفونيم وأفراده، كما تناول اختلاف أزواج الأصوات المتقابلة من حيث العدد والنوع، كالسين ومجهوره الزاي؛ ففي لغتنا العربية مثلا هناك اختلاف دلالي بين "سار" و "زار"، وفي الفرنسية بين Baiser و Baiser فالأولى معناها أن ينزل أو يخفض، والثانية معناها أن يقبل. كما تناول ظاهرة التنغيم وكيف يفرق بين المعاني، منوها إلى أن التحليل الوظيفي للأصوات والكلمات مكمل للتحليل الفيزيائي والفيسيولوجي لها.³¹

4.2 الباب الثالث:

خصص الباحث محمود السعران الباب الثالث من كتابه إلى المستوى النحوي من

اللغة، وفيه طرق المباحث الآتية:³²

- اختلاف اللغات من حيث طرقها في نظم الكلام
- العادات العقلية الخاصة بنظم الكلام
- العملية التحليلية والعملية التركيبية في التعبير عن المعاني
- من التحليل الفونولوجي إلى التحليل النحوي
- أسس البنية النحوية
- القيود الخاصة بأشكال الكلمات وبترتيبها في جمل (كلمات متغيرة، وكلمات غير متغيرة)
- لا لجوء إلى المعنى في تقدير الأسس النحوية
- دلالة الكلمات والمورفيمات من الناحية النحوية
- النحو الوصفي: بشقيه المورفولوجي، والتركيب (النظم)
- النحو المقارن.

5.2 الباب الرابع:

في هذا الباب الرابع انتقل بنا مؤلف الكتاب إلى المستوى الدلالي من النسق اللغوي،

عنونه بعلم الدلالة أو دراسة المعنى، وفيه تناول المباحث الآتية:³³

- الخلط والإساءة في فهم مشكلة المعنى
- دراسة المعاني وصفيا وتاريخيا
- قصور المعنى القاموسي
- تحصيل المعنى عند الطفل

- توصيل الكلام أو المضمون المنطقي والمضمون النفسي
- تغير المعنى
- مناهج دراسة المعنى: عند برييل، وريتشاردز وأوجدن، وبردجان، ونورمان أرولد، ألفرد كورتسبسكي، ستيوارت تشيرز، هايا كول، وإرفنج.
- نظريات اللغويين في علم الدلالة: المدرسة السويسرية، المدرسة السلوكية الأمريكية، المدرسة الاجتماعية الانجليزية.

6.2 الباب الخامس:

في الباب الخامس والأخير من هذا الكتاب حاول الباحث محمود السعران أن يحوصل تاريخ الدراسات اللغوية³⁴، وذلك منذ العصور القديمة، قبل عصر النهضة وذلك في الأساطير الدينية وعند الهنود واليونان، ثم عند الرومان، ثم في العصور الوسطى عند الغرب والعرب، ثم في عصر النهضة وما يليه خاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأخيرا علم اللغة في القرن العشرين مع بروز محاضرات فردينان دو سوسير، والمدارس اللسانية التي ظهرت بعده.

3. أهداف الكتاب ومنهج تأليفه وكيفية تعامله مع المصطلح:

تعتبر الكتابة اللسانية التمهيدية، كما ذهب إلى ذلك حافظ إسماعيلي علوي، "طريقة في التأليف لا يمكن لأي علم أن يذيع وينتشر بدونها، لذلك من الطبيعي أن يشكل هذا النوع من التأليف أحد الاهتمامات الأساسية لنشر العلوم وتقريبها إلى القراء".³⁵

من هذا المنطلق سنحاول أن نستوضح هذا المعطى عند محمود السعران من خلال كتابه الذي يعد من الكتابات اللسانية العربية التمهيدية، فتتعرف على أهداف

تأليف هذا الكتاب ومنهجه وكيفية تعامله مع نقل المصطلح الأجنبي إلى حقل الثقافة العربية، لهذا لا بد أن نقرأ ما جاء في مقدمته، لأن من عناصر بناء المقدمات الأكاديمية توضيح منهج التأليف والأهداف المتوخاة منه.

3.1 أهداف تأليف الكتاب:

يقول محمود السعران في الصفحة الخامسة من الكتاب: "... لقد نقلنا غن الغرب كثيرا من العلوم التي سبقنا إليها، وجاوزنا في كثير منها طور الأخذ إلى طور التأليف الأصيل؛ ودراساتنا الأدبية والنقدية خير حظا من الدراسات اللغوية فقد تعرفنا على كثير مما أحدثه الغربيون فيها، وانتفعنا به، وصدرت عن باحثينا دراسات أصيلة على هدى النظر الأدبي الحديث. ولكن تعريفنا بالنشاط اللغوي العلمي في أحدث صوره لا يزال تعريفا هينا غامض القسّمات ينتظر الجهود الجادة المتلاحقة من الأفراد والهيئات."³⁶

ونظرا لهذه الصورة التي رسمها محمود السعران، فإنه رأى أنه من الواجب أن تمهض بعض الجهود للترويج لعلم اللغة الحديث من جهة ولتيسيره وتوضيحه للقارئ العربي من جهة أخرى، ولعل هذا ما منح للسعران شرعية تأليف هذا الكتاب التمهيدي في مجاله، يقول محمود السعران: "وهذا الكتاب في علم اللغة محاولة أقدمها في هذا السبيل؛ وهو كتاب يحدد أسلوب عرضه للموضوعات، ومنهج تناوله للمسائل، أنه مقدمة للقارئ العربي"³⁷ ولزيد من التوضيح يقول: "وقد أثرت أن أبدأ تعريف هذا العلم... بكتاب مؤلف لا مترجم؛ فالكتاب الإنجليزي أو الفرنسي موجّه إلى قارئ ذي ثقافة لغوية خاصة، وتكوين عقلي مخالف، فهو مثلا يغضي النظر عما نحن في حاجة إلى إيضاحه، ويفصّل فيما نراه في مرحلتنا هذه تزيّداً"³⁸ ولم يكتف الباحث بهذين المبررين لتأليف كتابه، بل إنه يضيف مبررا آخر، يقول: "ثم إن القارئ العربي تعلق بذهنه تصورات ومذاهب لغوية لا تيسر له متابعة التصورات والمذاهب الحديثة في علم اللغة إن

عُرِضَتْ لَهُ موجزة مركزة، أو مشارا إليها إشارة عابرة، كما يحدث في المؤلَّف الأوروبي أو الأمريكي".³⁹

3.2 منهج تأليف الكتاب:

نظرا للأهداف التي سبق ذكرها من وراء تأليف هذا الكتاب اجترح محمود السعران منهجا مناسباً للكتابات اللسانية العربية التمهيدية، مبتدؤه مقدمة مطولة، يحدد وظيفتها قائلا: " ولذلك مهدت لكتابي هذا بمقدمة طويلة شيئا ما تهيئه لذهن القارئ الشادي لتلقي أصول هذا العلم بأيسر سبيل، وأدنى مجهود".⁴⁰ فهل حقا وفق صاحبنا بما قطعه على نفسه من خلال ما سبق ذكره؟ أم أنه تعثر في مسعاه من وراء تأليف هذا الكتاب؟

للإجابة عن هذين السؤالين يجب أن نورد أقوال محمود السعران التي تعهد من خلالها بتحقيق أهدافه التي سلف ذكرها، ولعل القول الآتي يحقق ما نهدف إليه من وراء هذه الورقة البحثية، يقول محمود السعران: "ولقد حاولت تبسيط حقائق هذا العلم ما وسعني التبسيط، مع حرصي على الدقة والسلامة، حتى يستقل القارئ المبتدئ بتحصيل ما فيه ومدارسته، وينتقل منه آمنا إلى مطالعة أصول هذا العلم، منقولة إلى العربية، أو مكتوبة بلغاتها".⁴¹

وأول خطوة منهجية اهتمت بها الباحث حتى لا يزيغ عن تحقيق هدفه هي إثبات المصطلح الإنجليزي بحرفه، وانتقاء اللفظ العربي المقابل له، حتى لا يقع في الخطأ أو الخلط، لذلك تجنب المصطلح اللغوي العربي القديم ترجمة لبعض المصطلحات

الإنجليزية، مؤثرا استعمال المصطلح الأوروبي في حال انعدام المقابل العربي الملائم،⁴² وهذا ما يسمى في علم المصطلح بالتعريب.⁴³

أما الخطوة المنهجية الثانية فهي تفصيل الحديث في موضوعات أتت مجملة عند الغربيين، وأحيانا أخرى يلجأ إلى الإيجاز في موضوعات أخرى أتت مفصلة إلى حد الإسهاب عند الغربيين، مع الإكثار من الأمثلة والشواهد في مواضع والتقليل منها قدر الإمكان في مواضع أخرى، هذا وقد ارتأى الباحث تطبيق بعض ما جاء به علم اللغة الحديث على لغتنا العربية حتى يثبت صلاحية اتخاذ هذه الأسس والتصورات الجديدة عند دراسة الكلام العربي، ولتأكيد ما تقدمه من نفع لا تنهض بمثله التصورات اللغوية العربية التراثية وحدها.⁴⁴

وفي المقام الأخير، يلجأ الباحث إلى المتفق فيه بين المدارس اللسانية الحديثة، دون الالتزام بمذهب دون آخر في كل فصوله وفروعه، ذاكرة مصادرها ومذاهب أصحابها في معظم الأحوال، مع الإشارة في الوقت نفسه إلى ما شذ من آراء عند بعض المدارس، حتى يكون القارئ على بينة من المذاهب اللغوية المختلفة، وعلى دراية بأسسها الفلسفية، وعلى علم بأهم المؤلفات فيها، فلا يضل الطريق في زحمتها عندما يتاح له الاتصال بشيء منها.⁴⁵

3.3 كيفية نقل المصطلح:

بعد حديثنا عن منهج تأليف الكتاب، بقي لنا تناول قضية التعامل مع نقل المصطلح اللساني من طرف الباحث محمود السعران من بيئته الثقافية الغربية إلى حقل الثقافة العربية، مع ما في هذه العملية من محاذير تتعلق باستيعاب مفاهيم المصطلحات في مظانها، وكذلك مراعاة خصوصيتها الثقافية والحضارية.

وسنحاول- من خلال هذا الجدول- أن نحصي أهم المصطلحات اللسانية التي وردت في كتاب "علم اللغة مقدمة للقارئ العربي":

العدد	المصطلح العربي	الأصل الغربي الإنجليزي	طريقة نقل المصطلح
01	علم اللغة	Linguistics	عن طريق الترجمة
02	علم العلامات / السميولوجيا	Semiology	ترجمة/ تعريب
03	اللغة	Le Langage (بالفرنسية)	ترجمة
04	اللغة المعينة؟	La Langue (بالفرنسية)	ترجمة
05	الكلام	La Parole (بالفرنسية)	ترجمة
06	علم الأصوات اللغوي	Phonetics	تعريب
07	الفونولوجيا/ علم الأصوات اللغوية الوظيفي	Phonology	تعريب/ ترجمة
09	الفونيم	Phoneme	تعريب
10	التونيم	Toneme	تعريب
11	كمية الصوت، الكرونيم	Chroneme	ترجمة/ تعريب
12	التحليل الفيزيائي والفسيولوجي	Physical Phonitics Physiological Phonitics	ترجمة جزء مع تعريب الجزء الآخر
13	النحو	Grammar	ترجمة
14	التحليل الفونولوجي	Phonological Analysis	ترجمة جزء مع تعريب الجزء الآخر
15	المرفولوجيا والنظم	Morphplogy	تعريب/ ترجمة

16	المورفيم	Morpheme	تعريب
17	الارتكاز؟	Stress	ترجمة
19	الشكل النحوي	Grammatical Phorm	ترجمة
20	الفصيصة النحوية؟	Grammatical Categorie	ترجمة
22	علم الدلالة	Semantics	ترجمة
23	أوتوماتي؟	Automatic	تعريب
24	توصيل؟	Communication	ترجمة
25	نطق	Utterance	ترجمة
26	بنية سفلى	Infrastructure	ترجمة
27	بنية عليا	Superstructure	ترجمة

"جدول رقم 1 يلخص أهم المصطلحات اللغوية الواردة في كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران"

قيل التعليق على هذا الجدول يجدر بنا ذكر أهم ما سجله الباحث محمود السعران في مدخل كتابه حول كيفية التعامل مع المصطلح اللغوي الغربي عند نقله إلى اللغة العربية من طرف الباحثين الذين سبقوه في التأليف، حيث نجده في الصفحة 29 يقر بصعوبة هذه المهمة، يقول: ومن أول ما يجابه الباحث العربي في هذا السبيل من صعوبات، وضع مصطلح هذا العلم بالعربية، نظرا لتصوراته التي لم تقم في أذهان اللغويين العرب، في مقابل رسوخ مصطلحات لغوية قديمة لا تعبر بدقة عن دلالة المصطلح اللغوي الحديث، لذلك من الحكمة تجنب استعمالها حتى لا يختلط معناها الأصيل بالمعنى الحديث الذي يراد بها أن تدل عليه.⁴⁶

وقد انعكست هذه الصعوبة في نقل المصطلح اللساني الحديث على ما جاء في كتابات الباحثين الذين سبقوا محمود السعران في التأليف، إذ يجد المطلع على هذه الكتابات على قلتها " مدى الصعوبة التي يعانها الكاتب والقارئ جميعا في هذا المجال، فقد اختلف المؤلفون والمترجمون، وهذا طبيعي ومتوقع، في المصطلحات الدالة على معان واحدة، حتى إن المطلع المبتدئ ليقع في البلبلة والحيرة والاختلاط، وقد اضطرب بعض المؤلفين المترجمين فترجم المصطلح الأوروبي بلفظ معين مرة، ثم ترجم المصطلح نفسه مرة أخرى في نفس الكتاب بلفظ آخر"⁴⁷، إضافة إلى هذه الصعوبات يمكننا تلخيص بقية الصعوبات والمآخذ فيما يأتي من نقاط:⁴⁸

- الاختلاف في ترجمة المصطلحات الدالة على معان واحدة
- ترجمة المصطلح الواحد بأكثر من لفظ
- ترجمة مصطلحين مختلفين بلفظ واحد
- الدلالة على تصور جديد بمصطلح عربي قديم

وبالعودة إلى الجدول أعلاه، فإننا نلاحظ أن الباحث محمود السعران قد أدار ظهره تقريبا لتأصيل المصطلحات الوافدة في تراثنا اللغوي العربي ما عدا مصطلح نحو. أما بقية المصطلحات فقد نقلها إما ترجمة معاصرة مبتكرة تحاول أن تراعي محمولاته المفهومية، أو عن طريق التعريب كلما تعذر إيجاد مقابل لها في لغتنا العربية حتى لا يفسد محمولات المصطلح، إضافة إلى هذه الملاحظات فإننا نسجل في بعض الأحيان تعاملًا غريبًا من الباحث في نقل المصطلح، كما تشير إليه علامات الاستفهام في الجدول، فمصطلحات: اللغة المعينة، الفصيحة النحوية، أوتوماتي، توصيل، هي في نظرنا مصطلحات غير

موفقة لاعتبارات منها أن المصطلح الأول من الأنسب أن يترجم باللسان كما هو شائع عندنا اليوم، ومصطلح الفصيحة النحوية نراه غير موفق؛ لأنه من الأنسب ترجمته بالمقولة النحوية، وأوتوماتي من الأنسب ترجمته أفضل من تعريبه خاصة أن لغتنا العربية تستطيع استيعابه بلفظ آخر هو آلي، أما توصيل فمن الأنسب أن يعوض بالتواصل .

4. خاتمة:

ختاما لهذه الورقة البحثية نستنتج ما يلي:

- 1- كتاب علم اللغة مقدمة للقارئ العربي لمحمود السعران من الكتب اللسانية العربية التمهيدية التي كان لها الفضل في شيوع الدرس اللساني الحديث وتذليل أغلب صعوبات تلقيه في حقل الثقافة العربية عموما والأكاديمية خصوصا.
- 2- وُقِّقَ صاحبُه في عنوانه الذي توفرت فيه الشروط والعلامات الواسمة لمثل هذا النوع من المؤلفات التمهيدية، خاصة لما ذيل العنوان الرئيس بعنوان فرعي يشير إلى طبيعة الكتاب "مقدمة للقارئ العربي" من حيث الوظيفة والفئة المستهدفة.
- 3- استطاع الباحث أن يحافظ على المفاهيم اللسانية كما جاءت في محضنها الأصلي لولا بعض الهفوات في نقل بعض المصطلحات وهذا لا ينقص من قيمة الكتاب، ولا يقلل من تحقيق هدفه المعلن عنه في المقدمة.
- 4- نجح الباحث لما وضع ملحقا للكتاب ضمنه مسردا للمصطلحات تقلل من عناء القراء في استيعاب مفاهيم الكتاب ومصطلحاته.
- 5- كما نسجل إسهاب الباحث في بعض المباحث التأريخية التي تنفر نوعا ما قارئ الكتاب نظرا لطولها المفرط.

5. قائمة الإحالات:

¹ فردينان دو سوسير: لساني سويسري ولد في جنيف سنة 1857، في سنة 1876 انتقل إلى ليزنغ ليدرس اللغة السنسكريتية، وقد تزامن وجوده هناك مع الفترة التي جدد فيها النحاة الجدد مناهجهم في النحو المقارن، أين دعم في 1880 أطروحته للدكتوراه حول " استعمال حروف الجر في اللغة السنسكريتية"، وقد نشر في السنة التي سبقتها مذكرة بعنوان: " الأنظمة الأولية للصوائت في اللغات الهندو أوروبية"، وبين سنتي 1980 و1891 شرع سوسير في إلقاء محاضراته بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا بباريس في النحو المقارن لميشال بريال، وشارك في أشغال الجمعية اللسانية لباريس. وفي عام 1891 عاد إلى جنيف أين ظل يدرس فيها اللغة السنسكريتية، والنحو المقارن، وخلال عامي: 1910 و1911 درّس اللسانيات العامة. وافته المنية سنة 1913، وبعدها بثلاث سنوات، أي في 1916، جمعت المحاضرات في اللسانيات العامة وطُبعت من طرف طالبيه: شارل بالي وسيشهاي. ويعتبر هذا الجهد الأكاديمي نقطة بداية البنيوية.

Voir : Jean Dubois et Autres : Dictionnaire de linguistique et des Sciences du langage, ed de Larousse, Paris, 1994, p 416.

² F. De Saussure : Cours de linguistique générale, Lausanne, Payot, 1916, p331, nouv éd, 1972, 532p. Voir : JEAN Dubois et Autres : Dictionnaire de linguistique et des Sciences du langage, p L3.

³ محمود السعران: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

⁴ المصدر نفسه، ص 14.

⁵ ينظر: المصدر نفسه، ص 11.

⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 15- 16.

⁷ ينظر: المصدر نفسه، ص 18.

⁸ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 19 - 20.

⁹ المصدر نفسه، ص 21.

¹⁰ المصدر نفسه، ص 21.

¹¹ المصدر نفسه، ص 22.

¹² جورج زيدان: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مطبعة بيروت، 1886. أعيد طبعه بعد تنقيحه، سنة 1904، 1923، ثم طبع طبعه أخرى مجهولة التاريخ.

وكذلك كتابه: تاريخ اللغة العربية الذي أصدره بعد ذلك.

ينظر: المصدر نفسه، ص 23.

¹³ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 28- 45.

¹⁴ F. De Saussure : Cours de linguistique générale, 4ed, Payot, Paris, 1949, p 317.

- ¹⁵ محمود السعران: المصدر السابق، ص ص: 49- 50.
- ¹⁶ ينظر: المصدر نفسه، ص 50.
- ¹⁷ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 50- 51.
- ¹⁸ ينظر: المصدر السابق، الفقرة الثانية، ص 53.
- ¹⁹ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 56- 62.
- ²⁰ F. De Saussure : Cours de linguistique générale, pp:33 - 34.
- ²¹ ينظر: محمود السعران: المصدر السابق، ص 68.
- ²² ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 69- 73.
- ²³ ينظر: أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 2، 2001، ص 836.
- ²⁴ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982، ج 2، ص 435.
- ²⁵ محمود السعران، المصدر السابق، ص 83.
- ²⁶ ينظر: محمود السعران، المصدر نفسه، ص ص: 87- 96.
- ²⁷ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 96- 102.
- ²⁸ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 103- 112.
- ²⁹ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 118- 122.
- ³⁰ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 123- 129.
- ³¹ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 194- 201.
- ³² ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 205- 258.
- ³³ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 261- 313.
- ³⁴ ينظر: المصدر نفسه، ص ص: 317- 350.
- ³⁵ حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 99.
- ³⁶ محمود السعران: المصدر السابق، ص 05.
- ³⁷ المصدر نفسه، ص 05.
- ³⁸ المصدر نفسه، ص 06.
- ³⁹ المصدر نفسه، ص 06.
- ⁴⁰ المصدر نفسه، ص 06.
- ⁴¹ المصدر نفسه، ص 06.
- ⁴² ينظر: المصدر نفسه، ص 06- 07.
- ⁴³ عبد اللطيف عبد اللطيف الريح: مدخل إلى علم المصطلح، محاضرات مقدمة للمستوى الثامن، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية، ص 19.

⁴⁴ ينظر: محمود السعران: المصدر السابق، ص 07.

⁴⁵ ينظر: المصدر نفسه، ص 07.

⁴⁶ ينظر: محمود السعران، المصدر نفسه، ص 29.

⁴⁷ المصدر نفسه، ص ص: 29-30.

⁴⁸ ينظر: المصدر نفسه: ص ص: 30-36.

المصادر والمراجع:

1- المصادر:

محمود السعران: علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).

2- المراجع:

أ- العربية:

- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط 2، 2001.
- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 2، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982.
- جورج زيدان: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مطبعة بيروت، 1886.
- حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009.
- عبد اللطيف عبد اللطيف الريح: مدخل إلى علم المصطلح، محاضرات مقدمة للمستوى الثامن، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية، (د ط)، (د ت)

ب- الأجنبية

- * F. De Saussure : Cours de linguistique générale, Lausanne, Payot, 1916, p331, nouv éd, 1972.
- * Jean Dubois et Autres : Dictionnaire de linguistique et des Sciences du langage, ed de larousse, Paris, 1994.